الشاعر بشاره الخوري

بقلم الاب وفائيل نخله البسوعي

ليس من يجهل بشاره الخوري ـ الاخطل الصغير ـ من الواقفين على تطور قريضنا العصري ؛ ولو لم تظللهم سماء لبنان الصافية الرقة والشفافة الصباء في اكثر الاحيان ؛ فقد انتشرت قصائده في كثير من صحف العالم العربي ومهاجره . وظهر له ديوانان . « الهوى والشباب » سنة ١٩٥٣ . و« شعر الاخطل الصغير » سنة ١٩٦١ .

قلما عالج فلسفة الحياة ؛ بيد انه يجاهر في شأنها بآراء مادية محضة . يتحدانى مدّعياً ان العقل البشري عاجز كل العجز عن تأكيد وجود الله تيقّن لامتناهي القدرة . قد اخرج من العدم جميع الخلائق الروحية والمادية . فيتقين عن الكون الشاهد بربوبات بدائعه على كمال بارئها . الناطق اسمى العقول :

سِرُّه النفسة التي يعبر الاحيـاء منها ؛ او سمٌّ ذلك جسرا ؛
سِرُّه المصنع الذي يفعـل التحليل في جوفـه عجائب كبرى ؛
يتلقى الاجسام ؛ وهي جمـاد ، ثم يعطيكها حياة وفكرا ...
سِرُّه الحازئ العظيم : اذا راقـك ؛ او سِرُّه ؛ اذا شئت : قبرا .

تالله مـا معنى الوجود ، بحكمه حكم الفناء ؛ وامره للفسـاد ؛
الا مشقات الطريق الى الثرى ؛ بين الاسى وتنفت الاكباد ؟

في قصائد اخرى يترنم بعظمة الله ؛ بل يسجد لها :

ربِّ ؛ ان الكون ، مهما عظُما ؛ هو في عينيك لا يُحسبُ شيْ ؛
قدرةٌ ذلت لديها العُظما ؛ كلهم فانٍ ؛ وسبحانك حي !

بيد انه ؛ في القصيدة ذاتها ؛ يعدّ الله تعالى مسؤولاً عن جرائم البشر ، ولا سيما سفكهم دماء ملايين اخوتهم في الحروب الضروس المتواترة ، فتبلغ وقاحته حد طلبه من مولاه السامي الحكمة ؛ ان يلاشي القمرين ويستأصل ابناء آدم برمتهم :

ربَّ : قال لجوع يصبحُ شبعانا ؛ وانقذ الطير الذي قدسته ؛
او مُر النسق فيغدو وريا ؛ ان يكن شرًّا . فلمْ اوجدته ؟

ربَّ . لو شئت : لما سألت دما ؛ امرك الامر ؛ فمن ذا ينكرُ ؟
ولما يُتمم من قد بدَّا ؛ ولما استلَّ السلاح العسكر .
رب . ان نحن بغضا اخرما ؛ او يكن حان الذي يُنتظر .
مُر — ولا كفران — ذين الكوكبينْ يخرقا الناموس او يحترقا .
واستريح منا . فنغدو بعد عينْ اثرًا لا بد ان ينسحقا !

لا غرو من ماديته البادية في بعض منظوماته ؛ والمستغشّة في غيرها . ولا من قلة احترامه لله تعالى . فانه قد اتّه المرأة كل التأليه . فوقف على عبادتها جل افكاره وخيالاته وعواطفه ؛ ونظم في وصف محاسنها الفتانة معظم قصائده . وما زال متيَّماً بها في شيخوخته كما كان في كهولته . بل في عنفوان شبابه . كثيرًا ما نراه ، في شعره الغزلي ، يهذي هذياناً . لا معنى له على الاطلاق الا في عقله المصاب بالجنون الجنسي . هاكم عدة امثلة على ذلك اللغو المستهجن :

فتن الجمال وثورة الاقداح صبغت اساطير الهوى بجراحي !
ولد الهوى والخمر ليلة مولدي ؛ ويحملان معي على الواحي ؛
قد عشت بينهما على نغم الصبا كفراشة علقت ثُدي اقاح ؛
اشتفّ روحيهما واعطي مثلها روحاً ؛ وأُسلّم ليلتي لصباحي !

انا طيفٌ من خيالات الليالي ؛ من صدى الوادي ومن همس الدوالي.
كم على الصحراء وشي من خيالي ؛ وعلى البحر يتيماتي الغوالي !
منهما صغت حلاكِ ؛ ومُنى النفس رضاكِ ؛ انا والشعر فداكِ !

لم يشقني يوم القيامة لولا املي انني هنالك اراها .
ولو ان النعيم كان جزائي في جهادي ؛ والنار كانت جزاها ؛
لاتيت الاله زحفاً وعفّرت جبيني كي استميل الالها ؛
وملأت السماء شكوى غرامي ؛ فشغلت الابرار عن تقواها ؛
ومشى الحب في الملائك حتى خاف جبريل منهم عُقباها !

ومن الحق ان من المضحكات المبكيات زعمه الكفري ان اهل السماء المحورين على الدوام بجمال الله المتجلي لهم ، يتنازلون فيصغون الى شكوى

غرامه ، ويشاطروه الهيام بصنمه ! لم يأنف عابد الشمس من التصريح بان تلك العبادة الساقطة كل الشذوذ في نظر كل انسان عاقل شريف . هي دين الحق ، بل دين الابد :

يـا لها الله أويقات الصبا من أويقات لـها عندي يدُ ،
معبدًا قامت على دين الهوى ، ذاك دين الحق ، بل دين الابد .
انزل الوحيَ على ابنائه ، وانى الناس باسمى معتقد !

بجانب ذلك الغزل الاباحي المحض ، الفاحش التطرف في الكيفية والكمية ، نجد عددًا قليلاً من الروايات الجميلة ، منها « اتيلا والشاعر » ، يصور لنا فيها بشاره ذلك المذاهب الطاغية به التقول وخدّام : تصويرًا حسن الايجاز ، قائلاً انه لم يكن ، سوى نقمة الله وسيف الغضب ، ملأ الايام هولاً ودماً ! » اتاد ذات يوم شاعر من الرومان ، يتزلف اليه بتعظيمه وتمجيده . فاستاء الجبار من مينه وفرط تملقه .

قال اتيلا : « اجمعوا لي حطباً واربطوا من فوقه هذا الغبيْ ...
« ويلك ! » ناداه ، « لئن ترجع الى الكذب ، احرقك جزاء الكذب ! »
لو بُليتـا بأتيلا ساعةً ، لشكونـا من نفاد الخطب !

في ذلك البيت الاخير ما فيه من الاستهزاء المضمر اللاذع بقوم من بني الشرق العربي ، قد بالغوا في تعفير وجوههم امام العظماء استعطافاً لآلائهم وطمعاً بحمايتهم .

قد اجاد كذلك الاخطل الصغير في « سقوط السلطان عبد الحميد الثاني » . بعد وصف بعض مظاهر ظلم هذا العاهل المستبد لرعاياه ، وهبوطه الفجائي من اوج العز الى مهواة الذل والاسر ، يخاطبه الشاعر بهذه اللهجة البليغة :

كنت تُبكي ، فصرت تبكي ، وعيدي بك ، عبدَ الحميد ، غير بعيد !
يـا لياليه في سلانيك ، قولي لليالي في يلدز[1] : « لن تعودي ! »
يـا لياليـه ، لا تُريه ضحاياه ، فتعروه رعشـة الرعديـد !
وارحميـه ، فالشيخ داوٍ ، ومـا للشيخ طاقـة على التنبيد[2] .
كان بالامس ، والرعايا عبيدٌ ، فغدا اليوم صاغرًا ، للعبيد !

---

١) اسم قصر من اجمل قصور السلاطين في الاستانة . ٢) هذا الشطر مخالف للوزن .

رواية « عروة وعفراء » جديرة بان تُعد من فرائد شعرنا القصصي الحديث. موضوعها ان الفتى عروة قد وعده عمه وعداً كاذباً بان يزوجه ابنته عفراء ؛ وانما سبب تلك المخاتلة فقر الشاب ؛ وكان هذا قد خالط عفراء منذ طفولته ؛ فيما بها هياماً عذرياً . ثم اراد عمه ابعاده حتى يعقد لسليلته قراناً آخر . فاشار على عروة بالسفر الى الشام سعياً وراء تجارة رابحة . وانتهز فرصة غيابه لاختيار زوج آخر لعفراء ، وهو الثالث الوافر الثروة . بلغ عروةَ ذلك النبأ الفجع . فطارت نفسه شعاعاً . بل كان هول تلك المصيبة سبب موته العاجل . فاستأذنت عفراء بعلها في ان تحج قبر ابن عمها ورفيق صباها ومحبوبها الوحيد . فنزل عند رغبتها . يقول بشاره في ختام تلك الرواية الشعرية :

. . . . . فما هي غير بعض ثوانٍ
حتى رأيتَ بقبر عروة بانةً حنيّة — واهفتا للبان ! —
وسمعت اية زفرة وشهدت اية ثورة ولمست اي حنان !
« وا عروتاه ! » ولم تُتم نداءها حتى ارتمت ؛ فاذا هنا ميتان !
ضموا الفتاة الى الفتى في حفرة ؛ من فوقها غصنان مُلتفان ؛
روحان ضمتهما اخرى فتعانقا وتعاهدا ؛ فتعانقت الكفنان !

« الريال الشريف » آخر مثال نذكره من ذلك النوع الروائي . يقص علينا بشاره في تلك القصيدة حادثاً اليماً جرى في وطنه لبنان ، ابان الحرب العالمية الاولى . امرأة تركها زوجها في الفقر المدقع وانضوى الى الجيش ؛ وكانت لها طفلة كاد المرض يوردها حتفها ؛ وقد حال إملاق امها دون شراء الادوية اللازمة . ثم سام عرضها نذلٌ رآها في ذلك الموقف الحرج غنيمة باردة بين يديه ؛ فاوحى اليها الشيطان الرجيم وحنانها الوالدي سواغ الانقياد لذلك المجرب الوغد ؛ فسقطت في حبائله . بعد قضائه نهمته فيها ارادت تخفيف آلام بنتها بالريال الذي باعت به ماء وجهها ؛ فاذا هو زائف ؛ فيا لمرارة خيبتها ؛ وقد زادت فدح عارها ! هي رواية حادث مبتذل ؛ قد شاهد الملايين آلافاً مؤلفة من امثاله ؛ على ان قريحة الشاعر قد صاغت به قصيدة رائعة باجادة الوصف وبكثرة الخيالات الجديدة ؛ دونكم ابياتها الاولى :

ويح الفقير ! فما تُراه يلاقي ؟ سُدت عليه منافذ الارزاق !
عصفت بـه وبسربه ريح الشتاء فتساقطوا كتساقط الاوراق !
فاذا بصُرت به ، عجبت لشعلة كالزعفران تجول في الاسواق ؛
علق المجاعة مص نصف دمائه ، وتعسف الحُكام مص الباقي !

اخذ الشقا بيدها : فسارت خلفه : والليل ممدود على الآفاق .
سارت فماس الخيزران بقدها . ورنت فذاب السحر في الاحداق !
وتلوح آثار النعيم بخدهـ كالفجر قبل تكامل الاشراق .

الشعر الوصفي اخفض قليل جداً تحت يراع بشاره : هاكم اجمل ابياته على شاب مسئول :

عيناه عاقتان في نفق كسراج كوخ نصف منفد ...
تهتز اثمله فتحسبها ورق الخريف أصيب بالبرد ...
يمشي نعلقه على مهل . فكأنه يمشي على قصد .
ويمج احياناً دماً . فعسى منعيله قطعٌ من الكبد ! ...
قطع تقولّ له « تموت غداً » : واذا ترقّ . تقول « بعد غد » !
والموت ارحم زائر لفتى مترمل بالداء مغتمد !

لقد اجاد ايضاً وصف المهاجر ؛ يخاطبه قائلاً :

اشجاك انك رائح ، لا ترجعُ ؛ وهواك والاوطان بعدك بقعُ ؟
متلفتٌ ؛ ما تبتغي ؟ متوجع ؛ ما تشتكي ؟ متنصت ؛ ما تسمع ؟
تلك الزغاليل التي غادرتها : جف الثديّ ومات عنها الزرع !
لا الريش مكتمل ، ولا اوكارها خضر ، ولا السجع البكيّ يشفّع !
ولكنت تسفك ناظريك ليرتووا ؛ وتذيب قلبك في يديك ليشبعوا !
جرس الكنيسة : لو تكلم ، لاشتكى ولبان فيه ، مذ نأيت ، تصدع !...
الجوزة الخضراء بعدك صُوحت الا وُريقات تكاد تودع ؛
تفضي الى النسمات في غدواتها عما ، تكابد في نواك وتجزع ..
لو في الألى خذلوك بعض حنانها ، لتقصفت جزعاً عليك الاضلع !...
لله انت مغرّباً ومشرقاً ؛ تذريك عاصفة واخرى تزرع ؛
حتى اندفعتَ ، فكل صخر روضة — سلمت يداك — وكل افق مطلع ،
وفتحت فتح العبقرية تاركاً في مسمع الدنيا صدى يترجع !

قال في وصف رزايا الحرب :

كم شموس في سما الماضي وكم من نجوم في سما المستقبل ،
وبنيات فنون جمة حسبت من معجزات الأول ؛
فاذا تلك انطفت شعلتها ؛ واذا هذي كبالي طلل !

ولكم روضة بيت ذبلت . وهي ليلا حرها لم تذبل !
وفتاة ظلة قد سألت امها : « اين ابي لم يُقبل ؟
« فلقد طالت بنا غيبته . وانا اشتقت لتلك القُبَل ؟ »

قد اجاد بشاره في بضع قصائد صوغ الشعر الوطني . ولا سيما في نشيد لبنان ذي الوزن السريع كخطى جيش حمل على العدو . او كصيحات عالية متتابعة مثل قصفات الرعود . منتبهة بثار الحماسة . ملؤها الافتخار بمجد لبنان والغيرة على الذود عن حماه . ايكم لابنه ودوريين منه :

لبنانْ ! يا بلدْ !
حرّم الارز . علّم المجد . وطن الاحرارْ .
سلامْ !

اجمال وصْف بازاهير رُباكْ :
والجلال توجا بمصابيح هداكْ !
والسراع والحمامْ في الملمات الجسامْ ؛
كل آنْ ! كل آنْ !
ذائدان عن عُلاكْ ؛ حارسان للوكْ !
نحن في السلم ابتسامْ . وصفاء ووفاءْ ؛
واكفّ من غمامْ ووجوه من حياءْ ؛
واذا دق النفيرْ ؛ ملأ الغاب زئيرْ
وحديداً ودخانْ ! .
مات من رام اذاكْ ، عاش من مات فداكْ !

رثى لشقاء مئات تُرى لبنانية غادرها كثير من اهاليها ، طمعاً بمكسب اوفر في المدن ، فحثهم بابيات جميلة على العودة الى ضياعهم واستغلال مواردها :

عودوا الى تلك القرى ، فلقد سلختكمُ عن قلبها المدنُ !
لا الحقل يبسم عن معاولكم فيه ؛ ولا تترنم المهن ؛
ذوت الرياض ، وماؤكم عمم ؛ وتعطلت من حليها التُلُن .
محراثكم صدئ الحديد به ؛ والنأس ملء عيونها الوسن ؛
وخويت زرائبكم ، وكان على جنباتها يتدفق اللبن ؛
خلت المرابط من سوابقها ، وتثاءبت بحيالها الأتن .
عودوا الى تلك القرى ، فعلى بسماتها يتمزق الحزن !

سنة ١٩٣٥ كان اهل ضيـاع لبنان في ضيق شديد ، وقد تفاقمت تباريحه بقسر الجباة اياهم على دفع بقية الضرائب . فأفم ذلك الخطب الفادح بشاره قصيدة « الجاني » . التي نعدها من احسن قصائده . هاكم بعض ابياتها :

افي . وفي دهيـاء يردّي مثيلـها مثلي ؟
ويشكو فقرَه قدري . ويشكو محلـه حقلي ؟
وشاتي . وهي ام البيت . يشكو صرعبـا طفلي !
روبداً . يـا لخطب الفجـاءه . قـد اسرفت في القتل !
الا تُبقي على شيء ؟ فتى خيـا بلا اكل ؟
كفانـا انـا نمشي من البؤس بلا نعـل .
وانّـا نفـغ الموتـين مـن فقم ومـن ذل !
فمـن اغرى الرزايا بي ، ومن انت ؟ — انا الجاني .

قد ثارت وطنيته اشد ثوراتها حين شاهد في اربعة اعوام الحرب العالمية الاولى ، الجوع الماثل ، الذي قصد به الاتراك استئصال اهالي قرى لبنان ، ينتك فتكاً متواصلاً بربوات منهم ، فقال بقلب جريح :

اعشق الليل ، وما لي والضحى ؟ عشتّ ، يا ليل ، الا فانـدل !
إنـدل تحجبْ عن الطرف الشقا ؛ يـا لطرف بالشقا مكتحلّ !
لا يرى ، اذ تطلع الشمس ، سوى سائل او عاجز او وكِل ؛
عصف الفقر بهم ، فانتشروا كانتشار الوابلِ المنحـل !
يلهمون العشب من جوعهم ؛ ويحهم ؟ مـا تركوا للهمل ؟
بجسوم هزّل تحملهـا بعيـاء واهيـات الارجل ،
ووجوه كتب الموت عـلى صفحتيهـا « هذه الاوجه لي » !
صدق الموت بمـا قد قاله ؛ مـا ترى اشلاءهم في السُبل ؟

لم يتمالك بشاره عن الاقتداء بمعظم شعرائنا العصريين ، في نظم قصائد المدح والرثاء عند سنوح الفُرص ، وهي اكثر من ان تُعد في الشرق العربي . والحال ان كل خير في كنه القريض وسمو غايته ، يعلم العلم اليقين انه بعيد عن المدح والرثاء بُعد الثريا عن الثرى ، الا في بعض الظروف النادرة التي يفيضان فيها عفوًا من اعماق فؤاد الشاعر ، لا من شفتيه او اسلة قلمه فقط . من امثال فساد ذوق الاخطل الصغير في تبجيل العظماء ، قصيدته للترحيب

ملك العراق الشاب . فيصل الثاني : عند قدومه الى لبنان سنة ١٩٣٩ . في البيت الثاني منها يخاطب سيارة الضيف الجليل ، صائحاً بها ، وهو لا يأبه لتكلفه المضحك :

يـــا سليل البحتر . كم من فؤاد ود لو كان بين جنبيك وقدا !

ثم يتطرق بعض ذلك النفس الى ذكر النكبة التي اودت بحياة والد فيصل الثاني . وهو راكب سيارته في احدى ليالي نيسان سنة ١٩٣٩ :

يـــا ابن من ادهل سحره اذ انقضّ شهاباً على الثرى وتردّى .
ما نسينا جرحاً على الليل . امست فحمة الليل منه جمراً ونِدا !
قطّعت شعرهـــا الكواكب كي تمسح جُرحاً وكي توسّد خدا :
واخت كل نخلة كجناح اخضر الريش . ود لو كان زندا .

نجد ذلك اللعب ذاته في رثاء بشاره لوديع عقل :

العبقرية : ما حيتْ . جنايةٌ : فخُذ الذمام لها من الاحداد ؛
تمشي على حسك الصدور وشوكها : وتُلف بعد الموت بالاوراد !...
ايتام وزنٌ لبيان ، وقد رمى سهم المنية منه قلب الضاد ،
فتقطعت مُهج وفاضت اعين ومت الخدودَ بكل اوطف صادِ ؛
مطرٌ كما انتثر الجمان على اللظى وتكسّر البلّور في الاجياد !

لا نرى مثل تلك المغامز في رثائه لنصير المرأة الشهير مختار بيهم . نعلل ذلك بكون الشاعر قد اخرج ذلك الرثاء من فؤاد مفعم بأحر عواطف الاجلال والمحبة للفقيد العزيز ، فأتت قصيدته مضطرمة بلهيب شعوره ، مزدانة بحُلى الابتكار الطبيعي ، ولا سيما اذ يندب بيهم قائلاً عنه :

الذي كان خادماً لبلادهْ ؛ الذي كان جذوةً تتوقـــدْ ؛
الذي كان صافياً كالغدير ، الذي كان ماضياً كالمهنّدْ !
الحميني ، يا ربة الشعر ، شعرًا كالنور والنارْ ،
كالهوا ، كالاطيار ، كالفكر حرًّا ، كنفس مختار !
كالاعاصير ، ان دعته البلادُ وخافت العار ؛
كالازاهير ، ان دعاه الوِدادُ وحُرمة الجار !

قد اطلنا الكلام في تحليل معاني شعر الاخطل الصغير ، مع التمييز بين غثها وسمينها . اما لغته ، فليست خالية من الاخطاء الجسيمة ، كاستعمال

جوانح بمعنى اجنحة . ووديان بدلاً من اودية ؛ وقوله « الجحيم الاعظم » مع ان ذلك الموصوف مؤنث ؛ واتباعه بعض الافعال المتعدية باء الجر : « ارادوا بان اكون العريس » . « لا تنسي بان تسترني ذلك الجبين » .

من جهة اخرى تكثر في شعره الكلمات المائعة التي يمجها كل ذي ذوق سليم .

الوضوح ناقص جداً في مئات من ابياته . فهي الغاز غامضة . نضرب لكم مثلاً على ذلك : وهو حفنة من كثيب :

يا اكروم : فهل في القبر من حرج ... اذا سألناهمُ « اين العناقيدُ » ؟
ولا سلاح سوى الوعد الذي قطعوا ... تُغني احياءً ولا تغني المواعيد .

لا ننكر ان لبشاره نزعة شديدة الى ابتكار الخيالات ، وقد ابتدع منها عدداً لا يستهان به ، هاكم باقة بهيجة منها :

فيصوغ هيئمة النسيم قصائداً ... ويردّ زمزمة الغدير اغاني .
ضرب الجوعُ بصمصام رهيفْ ... فاذا قتلاه ملء السُبُلِ .

« هلال الافق في حضن المغيب » ، « تلبسين خوذة الاقدام » ، « فتى كاسي الغنى عار من الاخلاق » ، « ترعى السفالة في مجاهل قلبه » ، « ايها النقر ، ان كنتَ فؤاد الزنى ... » ، « شعاع الشمس يضحك لي » ، « قمتُ فؤادي بين برئمي والهوى » ، « زحم الصبحُ الظلام » ، « آمال مجنّحة » .

بيد ان التكلف المستهجن في الخيالات اكثر جداً من ابتكارها . يسهل علينا اثبات ذلك الرأي بمئات الامثال ، بيد ان ضيق المجال يضطرنا الى الاكتفاء بذكر هذه :

سكرَ الروض سكرةً صرعته ... عند مجرى العبير من نهديك .
انا في شمال الحب قلب خافقٌ ... وعلى يمين الحق طيرٌ شادِ .
سكب الله دمعةً ، فاذا هيْ ... نفس ليلى بلطفها المتنادي .

« الله يرى ريشة من جناح الملاك ، رغمها بفؤاد الصباح » ، « اكاد امشي بلا رأس » ، « تختال فاطمة على خدود رياض لبنان » ، « إستلقي الشقاء حساماً في نهاري ، وصيّر الليل غمدي » ، « رآها الليل فاختار المقام

في شعرها » . « سعدٌ من الضحى مقتول : تغمره بالقُبل الحقول » : « قلبي فارغٌ فمه لحب » . « براعم الاقلام لم تتفتق » : « يكسر الجراحَ اقتدارًا » . « يا قامة (قامة فتاة) من قصب السُكّر رخص العُنْد » : « الكواكب قطّعت شعرها لكي تنسج بُردًا » .

تلك الخيالات المشبعة بالتكلف ترد تترى في كثير من قصائده : كما يرى القراء في المثلين التاليين . قال بشاره في وصف زحلة وتُبيرها البردوني وسبل البقع المتناخم لها :

اسرفتِ في فتن الجمال : كأنما	تخذ الجمال على ذُراك منابرا !...
والنهر روح العاشقين ودمعهم .	مُلقى على قدميك . يلبث خاشرا :
سالت جراحات الهوى في صدره	ليلاً : فقبّلها النسيم محاذرا .
والسبل يعلم : منذ كان . بزورة	لبس الخليّ لها ندًى وازاهرا .
لو كان يمكنها الرُبى : لتسابقت	لاعزها ، تسعى اليك حواسرا :
وتقطعت خُصُل الحسان وشُتّرت	بدل الكروم على التلال غدائرا .

قال في وصف سلمى الكورانية :

تعجّب الليل منها عندما برزت	تسلل النورَ في عينيه عيناها :
فظنها : وهي عند الماء قائمةً :	منارةٌ ضمها الشاطي وفدّاها !
وتمتمت نجمة في اذن جارتها :	لما رأتها وجُنّت عند مرآها :
« أنظرن : يا إخوتا : هذي شقيقتنا :	فمن تُراه على الغبراء التاها ؟
« اتلك من حدّثت عنها عجائزنا	وقلن ان مليك الجن يهواها ؟ »

فضلاً عن التصنع المتواتر ، كثيرًا ما تشين شعر بشاره المبالغة الفاحشة . نكتفي بذكر ثلاثة امثلة عليها ، خوفاً من اضجار قرائنا : يقول بعد موت فوزي المعلوف « تعرّى روض اليان من السجع » ، وفي رثاء الياس فياض :

خبا كل ساطع في سماهُ ، وذوى كل زاهر في جنانهْ !

وفي وصف انهيار صرح شامخ : « جبل من البنيان زُلزل فوقهم . »

مع كل العيوب التي فصّلناها واثبتناها بالبراهين الدامغة ، نرى الاخطل الصغير يجاهر في « نياشين » — وهي كلمة غير عربية — بفرط اعجابه بذاته ، وذلك من اقصى درجات الكبرياء والادعاء . هاكم تلك الابيات بحذافيرها :

ايفرضون على مثلي ملابسهم ؛ ويسألون ثيابي عن ثيابهم ؛
كأنني لم اكن عنوان فخرهم يوم انطلاق القرافي في الميادين ؟
اني لمن معشر : لولا يراعتهم ؛ مـا كان لبنان غير الماء والطين !

من المعلوم انه لا يجوز . في جميع الاقطار المتمدنة . لقاضٍ : ايًّ كانت درجته في مراتب القضاء : ان يُصدر حكماً في شؤونه الشخصيّة . فقد نسي بشارة او تناسى ذلك المبدأ السديد ؛ فتورط عن غرور محض ؛ انه في مقدمة نوابغ شعرنا العصري الناهض . اما نحن : فاننا لا نشطره البتة ذلك الرأي القائل . مع اعترافنا بان في قصائده بعض السرر . وان شابها شوائب ؛ يضطرنا النقد الجري على التزيه الى التصريح بكثرة ما فيها من اللؤلؤ البهرج . هذا لا يروق سطوعه الا عيون جاهلي اصيل الادب الصحيح ؛ الثابتة في كل عصر ومصر ؛ في ارقى بلاد العالم ؛ بدليل كون اعظم ادباء الخافقين يتقيدون بها ولا يحيدون عنها اصلاً ؛ ولولا ذلك لما بقي جمال مؤلفاتهم كاملاً فتاناً في ترجماتها الى اشهر اللغات .